دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الشرط ب (إن) و (إذا) في القرآن الكريم
المصدر:	مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض - السعودية
المؤلف الرئيسي:	فوده، علي
المجلد/العدد:	مج 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1976
الصفحات:	43 - 68
رقم MD:	124427
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الجملة الشرطية ، القرآن الكريم ، اللغة العربية ، الحروف ، ادوات الشرط، النحو
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/124427

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الشرط

ب (إن) و (إذا) في القرآن الكريم

للدكتور علي فوده

ملخص البحث :

هذه دراسة مقارنة لاستعمال (إن) و (إذا) الشرطيتين في القرآن الكريم تبرز فيها العناية باستقراء ما ورد من هاتين الأداتين في كتاب الله ، وبيان أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، وقد انتهت هذه الدراسة إلى الحقائق الآتية :

١ – أن (إن) الشرطية وردت في القرآن الكريم أكثر مما وردت به (إذا) ، وذلك خلاف ما يفهم من قول بعض الأقدمين : إن (إذا) تقع شرطاً في الأشياء المحققة الوقوع ولذا وردت شروط القرآن بها .

٢ – أن (إذا) الشرطية تستعمل في أغلب الحالات لمعنى غير المعنى الذي تستعمل فيه (إن) ، وأسلوب القرآن بهما في مواطن متعددة يرد على من ينكر هذه الحقيقة .

٣ – أن الفعل بعد (إن) ورد في صيغة الماضي أكثر مما ورد في صيغة المضارع ، وهذا يخالف ما ذكره بعض النحاة من أن الفعل بعد (إن) يختار فيه أن يكون بصيغة المضارع ، لأن الفعل بعدها يحتمل أن يكون وألا يكون ، والصيغة التي تناسب ذلك هي صيغة المضارع .

٤ – أن الفعل مع (إن) و (إذا) الشرطيتين صورة من صور الفعل المركب بالعربية الذي يتأثر زمنه بما ركب معه ، وأنه تنبغي العناية باستقراء هذه الصور في لغتنا وإضافتها إلى أقسامه المعروفة عند دراسته .

مقدمة :

أسلوب الشرط أو الجزاء – كما يسميه الأقدمون – من الأساليب الكثيرة الاستعمال في اللغة العربية ، وكان مما أعان على شيوعه بها تعدد أدواته التي جمع ابن مالك منها إحدى عشرة أداة في قوله :

واجزم بإن ، ومن ، وما ، مهما .. أي ، متى ، أيان ، أين ، إذ ما
وحيثما ، أنى ، وحرف إذ ما .. كإن ، وباقي الأدوات أسما

وهناك أربع أدوات أخرى له هي : إذا ، أمّا ، كيف ، لو .

وقد كان غنى لغة القرآن بهذا النوع من الأدوات وسيلة دقة وجمال في التعبير ، ولهذا جعل عبد القادر الجرجاني هذا التنوع ، ومراعاة مقاماته المختلفة سبيلاً إلى نظم

الكلام وتأليفه الذي هو سر البلاغة والإعجاز عنده ، فقال : « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه . . . وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصيته في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه ، نحو أن يجيء بما في نفي الحال وبلا إذا أراد نفي الاستقبال ، **وبإنْ فيما يترجح بين أن يكون وألاّ يكون ، وبإذا فيما علم أنه كائن (١) . . .** »

وفي موطن آخر أبان عبد القاهر عن صلة النظم بالإعجاز فقال :

« ونعود إلى النسق فنقول : فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه ، لم يبق إلا أن يكون الاستعارة ، ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز وأن يقصد اليها ، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة ، في مواضع من السور الطوال مخصوصة ، وإذا امتنع ذلك فيها لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف . . (٢) »

بناء أسلوب الشرط :

يتألف أسلوب الشرط من أداة شرط ، وفعل شرط ، وجواب له . ولأن لكل فعل فاعلاً ، وأن جواب الشرط قد يكون فعلاً ، وقد يكون جملة ، فإن أسلوب الشرط يبنى على جملتين ، جعلتهما أداة الشرط جملة واحدة لا يتم المعنى إلا بهما معاً ، « فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازاة عاد الكلام جملتين كما كان (٣) . . »

والأصل في العلاقة بين الشرط والجزاء أن الثاني يترتب على الأول يوجد بوجوده ، نحو إن زرتني زرتك ، وإذا سافرت أسافر معك . ولكن ورد الاستعمال في كتاب الله على غير هذا الأصل ، فمن ذلك قوله تعالى : « فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى (٤) »

لقد أوّل هذا الاستعمال بما يتفق وموقف الإسلام من التذكير بالله فقال الزمخشري تعليقاً على هذه الآية : « فإن قلت : كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأموراً بالذكرى نفعت أو لم تنفع ، فما معنى اشتراط النفع ؟ قلت : على وجهين :

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ٥٥ – ٥٦ .
(٢) المصدر السابق ٢٥٤ .
(٣) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٥٢ .
(٤) سورة الأعلى : ٩ .

« أحدهما : أن رسول الله قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم ، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوا وطغياناً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفاً ، ويزداد جداً في تذكيرهم وحرصاً عليه ، فقيل : « وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (١) » و « (فاصفح) (٢) عَنْهم وَقُلْ سَلاَمٌ (٣) » « (فَذَكِّر) (٤) إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَىَ — وذلكَ بعد إلزام الحجة بتكرير الذكر . والثاني : أن يكون ظاهره شرطاً ، ومعناه ذماً للمذكرين ، وإخباراً عن حالهم واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم ، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم ، كما تقول للواعظ : « عظ المُكّاسين (٥) إن سمعوا منك ، قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون (٦) ... »

وقال ابن فارس : « الشرط على ضربين : شرط واجب إعماله كقول القائل : إن خرج زيد خرجت ، وفي كتاب الله جل ثناؤه : « فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (٧) » .

والشرط الآخر مذكور إلا أنه غير معزوم عليه ولا محتوم مثل قوله : « فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنّا أَنْ يُقِيمَا حُدودَ اللهِ (٨) . . . » .

فقوله : « إِنْ ظَنّا » شرط لإطلاق المراجعة ، فلو كان محتوماً مفروضاً لما جاز لهما أن يتراجعا إلا بعد الظن أن يقيما حدود الله ، فالشرط هنا كالمجاز غير المعزوم ، ومثله قوله تعالى : « فَذَكِّر إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى ، لأن الأمر بالتذكير واقع في كل وقت ، والتذكير واجب نفع أو لم ينفع ، فقد يكون بعض الشرط مجازا (٩) . . »

فليست العلاقة بين الشرط والجزاء دائماً هي علاقة السبب بالمسبب يوجد بوجوده ، وينتفي بانتفائه ، وإنما هي في الحقيقة علاقة الملزوم باللازم الذي قد يوجد بدون ملزومه فمضمون الشرط مفروض ملزوم ، ومضمون الجزاء لازم له (١٠) .

---

(١) سورة ق : ٤٥ .
(٢) في الأصل : وأعرض ، وردت فيه بالمعنى .
(٣) سورة الزخرف : ٨٩ .
(٤) في الأصل : ذكر .
(٥) المكس : الضريبة ، والمكاس : من يأخذها ممن يدخل البلد من التجار .
(٦) الزمخشري : الكشاف ٤ : ٢٤٤ .
(٧) سورة النساء : ٤ .
(٨) سورة البقرة : ٢٣٠ .
(٩) أحمد بن فارس : الصاحبي ٢١٨ .
(١٠) انظر شرح الكافية للرضي : ٢ : ١٠٨ .

وجملة الشرط لا تكون إلا فعلية ، لأن مضمونها الحدث الذي يترتب عليه جزاء ما ، ولذا قالوا : إن أدوات الشرط مختصة بالأفعال لا تدخل إلا عليها – وما ورد منها بعده اسم تأولوه . وفي استقرائي لاستعمالات (إن) و (إذا) الشرطيتين في القرآن تبين لي أن (إن) أتى بعدها الاسم في خمسة مواضع من كتاب الله هي :

١ – « وإنْ امْرَأةٌ خافت مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أوْ إعراضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً والصّلْحُ خَيْرٌ » (١)

٢ – « إنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ » (٢)

٣ – « إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأصَابَتْكُم مُصِيبَةُ الْمَوتِ » (٣)

٤ – « وإنْ أحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأجِرْهُ » (٤)

٥ – «وَإنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ » (٥)

أما (إذا) فقد جاءت متلوة بالاسم في اثنين وعشرين موضعاً موجودة في قصار السور ، منها أربعة في سورة المرسلات هي : « فَإذَا النّجُومُ طُمِسَتْ ، وَإذَا السّمَاءُ فُرِجَتْ ، وَإذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ، وَإذَا الرّسُلُ أقّتَتْ » (٦) .

واثنا عشر في سورة التكوير هي : « إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ ، وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإذَا الْجِبَالُ سُيّرَتْ ، وإذَا الْعِشَارُ عُطّلَتْ ، وإذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وإذا الْبِحَارُ سُجّرَتْ ، وإذَا النفُوسُ زُوّجَتْ ، وإذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . . . وَإذَا الصّحُفُ نُشِرَتْ ، وإذَا السّمَاءُ كُشِطَتْ ، وإذَا الْجَحِيمُ سُعّرَتْ ، وَإذَا الْجَنّةُ أزْلِفَتْ . . . » (٧) .

وأربعة في سورة الانفطار هي : « إذَا السّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، وَإذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ ، وَإذَا الْبِحَارُ فُجّرَتْ ، وَإذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ . . . » (٨) .

واثنان في سورة الانشقاق هما : « إذَا السّمَاءُ انْشَقّتْ . . وَإذَا الأرْضُ

---

(١) سورة النساء : ١٢٨ .
(٢) سورة النساء : ١٧٦ .
(٣) سورة المائدة : ١٠٦ .
(٤) سورة التوبة : ٦ .
(٥) سورة الحجرات : ٩ .
(٦) سورة المرسلات : ٨، ٩، ١٠، ١١ .
(٧) سورة التكوير : ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ .
(٨) سورة الانفطار : ١، ٢، ٣، ٤ .

مُدّتْ . . » (١) .

وعندما نقارن ذلك بمجيء هاتين الأداتين متلوتين بالفعل في المواضع الكثيرة الأخرى من القرآن التي سيأتي بيانها يتبين لنا أن الأصل أن يدخلا على الأفعال ، وكذلك الشأن في بقية أدوات الشرط الأخرى ، ويعلل هذا صاحب الطراز بقوله : « واعلم أن جميع الشروط كلها مختصة بالأفعال ، لأنها تتجدد ، والأفعال متجددة ، فلا جرم ناسب معناها الفعل فاختصت به (٢) .

وطرداً لهذه الحقيقة وهي اختصاص أدوات الشرط بالدخول على الأفعال قدر البصريون فعلا بعد أداة الشرط المتلوة باسم ، يفسره الفعل المذكور بعد هذا الاسم .

وجواب الشرط الأصل فيه أن يكون بالفعل فقط ، وقد يكون جملة اسمية ، أو فعلية لا تصلح أن تكون شرطاً (٣) ، فيجب اقترانه بالفاء — وقد تنوب (إذا) الفجائية عن (الفاء) في ربط الجواب بالشرط إذا كانت الأداة (إن) أو (إذا) وكانت جملة الجواب اسمية غير دالة على الطلب ، ولا مسبوقة بنفي أو ناسخ .

وقد لاحظت أثناء دراستي لأسلوب الشرط في القرآن الكريم أن (إذا) المفاجأة جاءت رابطة الجواب بالشرط بعد (إذا) الشرطية أكثر مما جاءت بعد (إن) فإنها لم تأت بعد (إن) إلا في آيتين هما :

١ — « فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٤)

٢ — « وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٥) .

ولكنها أتت وحدها بعد (إذا) في تسع آيات هي :

١ — « وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا » (٦) .

٢ — « ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ »(٧)

٣ — « حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ » (٨)

---

(١) سورة الانشقاق : ١، ٣ .
(٢) العلوي اليمني : الطراز ٣ : ٢٩٨ .
(٣) انظر شرح التصريح على التوضيح ٢ : ٢٤٩ لما يشترط في فعل الشرط .
(٤) سورة التوبة : ٥٨ .
(٥) سورة الروم : ٣٦ .
(٦) سورة يونس : ٢١ .
(٧) سورة النحل : ٥٤ .
(٨) سورة المؤمنون : ٦٤ .

٤ – « حَتّى إذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (١)

٥ – « وَإذَا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم إذَا فَرِيقٌ مِنْهُم مُعْرِضُونَ (٢) »

٦ – ثُمّ إذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنْ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٣) »

٧ – « ثم إذَا أذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبّهِم يُشْرِكُونَ (٤)

٨ – « فَإذَا أصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » (٥)

٩ – « وإذَا ذُكِرَ الّذِينَ مِنْ دُونِهِ إذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُون . . » (٦)

وجاءت مع الفاء لهذا الغرض أيضاً بعد (إذا) في آيتين هما :

١ – « حَتّى إذَا فَرِحُوا بِمَا أوتُوا أخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فإذا هُمْ مُبْلِسُونَ .. (٧) »

٢ – « حَتّى إذَا فُتِحَتْ يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقّ فإذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أبْصَارُ الّذِينَ كَفَرُوا » (٨)

وعن الربط بالفاء و (إذا) معاً في الآية الثانية قال الزمخشري : « (إذا) هي المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مَسَدّ الفاء كقوله تعالى : « إذَا هُمْ يَقْنَطُونَ » فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ، ولو قيل : إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديدا » (٩) .

والجملة الشرطية تكون خبرية ، وتكون إنشائية ، وذلك يعتمد على جوابها ، فإن كان خبراً كانت جملة الشرط خبرية ، وإن كان إنشاء كانت إنشائية « . . إن خبرية الجملة الشرطية وإنشائيتها معتبرة بجوابها ، وما الشرط إلا قيد لها » . (١٠)

ويقول الزركشي : « فإن قيل : فمن أي أنواع الكلام تكون هذه الجملة المنتظمة

---

(١) سورة المؤمنون : ٧٧ .
(٢) سورة النور : ٤٨ .
(٣) سورة الروم : ٢٥ .
(٤) سورة الروم : ٣٣ .
(٥) سورة الروم : ٤٨ .
(٦) سورة الزمر : ٤٥ .
(٧) سورة الأنعام : ٤٤ .
(٨) سورة الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧ .
(٩) الزمخشري : الكشاف ٢ : ٥٨٤ .
(١٠) عبد السلام هارون : « الأساليب الإنشائية » ٢٨ .

من الجملتين ؟ . قلنا : قال صاحب « المستوفي » (١) : العبرة في هذا بالتالي ، ان كان التالي قبل الانتظام جازما كانت هذه الشرطية جازمة – أعني خبراً محضاً – ولذلك جاز أن توصل بها الموصلات كما في قوله تعالى : « الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ (٢) ». وإن لم يكن جازماً لم تكن جازمة ، بل إن كان التالي أمراً فهي في عداد الأمر كقوله تعالى : « إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣) » . . . (٤) »

(إن) و (إذا)

سبق أن ذكرت أن أدوات الشرط في العربية كثيرة ، وأن هذا أثرى اللغة وأشرع لها منهجاً من مناهج البلاغة والإعجاز . إلا أن هذه الأدوات ليست على درجة واحدة من الاستعمال ، فبعضها أكثر أهمية في باب الشرط من بعض آخر . وسأقتصر في هذا البحث على دراسة أحوال (إن) و (إذا) في ضوء الاستعمال القرآني لهما . أما (إن) فلأنها أم أدوات الشرط الجازمة ، أما (إذا) فلأنها أم أدوات الشرط غير الجازمة .

وقد بين سيبويه أصالة (إن) في باب الجزاء بقوله : « وزعم الخليل أن (إن) هي أم حروف الجزاء فسألته لم قلت ذلك ؟ فقال : من قبل أني أرى حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاماً ، ومنها ما يفارقه (ما) فلا يكون فيه الجزاء ، وهذه على حالة واحدة أبداً لا تفارق المجازاة (٥) »

ولمكانة (إن) في باب الشرط كان غيرها من أدواته محمولاً عليها مضمناً معناها (٦) . ولهذا انفردت (إن) بأحكام ليست لغيرها ، منها أنها تختص من بين سائر أدوات الشرط بجواز وقوع اسم مرفوع بعدها مباشرة ، لأنها الأصل في باب الجزاء . (٧)

والحقيقة أن جواز وقوع الاسم المرفوع بعد أداة الشرط ليس خاصاً بـ (إن) ، وإنما تشاركها فيه (إذا) بل إن ما ورد من هذا في القرآن مع (إذا) أكثر منه مع (إن) (٨)

وليس هذا هو الحكم الوحيد الذي تشترك (إن) و (إذا) فيه ، فقد سبق بيان

---

(١) المستوفي في النحو لأبي سعد كمال الدين علي بن مسعود الفرغاني .
(٢) سورة الحج : ٤١ .
(٣) سورة الأعراف : ١٠٦ .
(٤) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٥٣ .
(٥) سيبويه : الكتاب ١ : ٤٣٥ .
(٦) انظر « شرح الكافية » للرضى ٢ : ١٠٩ .
(٧) انظر « الإنصاف في مسائل الخلاف » للأنباري ٢ : ٦١٦ – ٦١٧ .
(٨) انظر ص ٢٢٤

أنهما يشتركان أيضاً في وقوع (إذا) الفجائية في جوابهما لربطه بالشرط وأن ذلك ورد في القرآن مع (إذا) أكثر مما ورد مع (إن) (١) .

وقد لفت ما بين (إن) و (إذا) من وجوه الشبه والاختلاف نظر العلماء منذ القدم ، وجعلهم يقومون بشيء من البحث المقارن بينهما على اختلاف في درجة هذا البحث شمولاً وعمقاً .

فسيبويه يقول : « وسألته – أي الخليل بن أحمد – عن (إذا) ما منعهم أن يجازوا بها – أي يجزموا – فقال الفعل في (إذا) بمنزلته في (إذ) إذا قلت : أتذكر إذ تقول ، فـ (إذا) فيما تستقبل بمنزلة (إذْ) فيما مضى ، ويبين هذا أن (إذا) تجيء وقتاً معلوماً ، **ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمر البسر كان حسنا ، ولو قلت : آتيك إنْ احمر البسر كان قبيحا ، فإن أبدا مبهمة (٢) . . .** »

وهذا نحوي كبير هو الرضي يقوم في كتابه «شرح الكافية» بدراسة لـ(إن) و (إذا) يظهر فيها معنى كل منهما ، وأوجه الشبه والاختلاف بينهما ، ويتحدث عن صيغة فعل الشرط وزمنه بعدهما (٣) .

أما الزركشي فانه يخص (إن) و (إذا) ببحث طويل يستغرق خمس صفحات يبرز فيه وجوه التوافق والتخالف بينهما (٤) .

وهذا وغيره مما ذكره العلماء عن هاتين الأداتين من شأنه أن يكون محل اعتبار عند من يتصدى لدراسة أسلوب الشرط . ولكن الذي أثار اهتمامي أكثر من غيره في هذا الموضوع عبارتان وردت إحداهما في كتاب « شرح الكافية » للرضى ، ووردت الثانية في كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي .

العبارة الأولى هي : « والأصل في استعمال (إذا) أن تكون لزمان من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع به ، والدليل عليه استعمال (إذا) في الأغلب الأكثر في هذا المعنى نحو إذا طلعت الشمس ، وقوله تعالى : « إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(٥) ولهذا كثر في الكتاب العزيز استعماله ، لقطع علام الغيوب سبحانه بالأمور المتوقعة . (٦)

---

(١) انظر ص ٢٢٥ – ٢٢٦

(٢) سيبويه ١ : ٤٣٣ .

(٣) انظر شرح الكافية « للرضى » : ٢ : ١٠٨ – ١٠٩ ، ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٤) انظر « البرهان في علوم القرآن » للزركشي ٤ : ١٩٩ – ٢٠٤ .

(٥) سورة التكوير ١ .

(٦) الرضى : شرح الكافية ٢ : ١٠٨ .

والعبارة الثانية هي : « وقال في « البسيط (١) » إن (إذا) تقع شرطاً في الأشياء المحققة الوقوع ولذا وردت شروط القرآن بها (٢) »

إن ما يتبادر إلى الذهن من هذين النصين وبخاصة الثاني منهما أن (إذا) الشرطية أكثر استعمالاً من (إن) في القرآن ، لأنها ترد للأشياء المحققة الوقوع في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله . . . فهل يؤدي النظر في أسلوب القرآن إلى تأييد هذه الحقيقة . ؟

للإجابة عن هذا السؤال قمت باستقراء لاستعمال (إن) و (إذا) الشرطيتين في كتاب الله ، ودراسة مقارنة لما ورد منهما به انتهيت منها إلى بعض الحقائق التي من شأنها أن تدعو إلى التفكير الجدي في استقراء لغوي دقيق شامل ترتكز عليه أحكام النحو العربي . ويعتمد أول ما يعتمد على القرآن الكريم (٣) » .

وهذه هي مواضع استعمال هاتين الأداتين في القرآن الكريم مكتفياً ببيان أرقام الآيات اختصاراً للبحث .

(إن) الشرطية في القرآن الكريم

سورة البقرة :

٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ . (٥٧)

سورة آل عمران :

٢٠ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

---

(١) « البسيط » لضياء الدين بن العلج .

(٢) السيوطي : الأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٥ .

(٣) كتبت هذا البحث عام ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م ، وفي عام ٩٢هـ – ٧٢م أخرج العالم الفاضل الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة كتابه الكبير « دراسات لأسلوب القرآن الكريم » الذي يعتبر بحق معجماً نحوياً وصرفياً فريداً للقرآن الكريم ، نرجو أن تتم أجزاؤه – إلا أنه بقي لبحثي اختصاصه بإحصاء استعمال (إن) و (إذا) الشرطيتين في القرآن الكريم والعناية بالدراسة المقارنة لهما .

١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ . (٣٢)

سورة النساء : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ (٥٨)

سورة المائدة : ٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٨ . (٢٥)

سورة الأنعام : ١٥ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ . (٢٦)

سورة الأعراف : ٢٣ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ . (٢٢)

سورة الأنفال : ١ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ . (٢٣)

سورة التوبة : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٧٣ ، ٩٦ ، ١٢٩ . (٢٨)

سورة يونس : ٢٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ . (١٥)

سورة هود : ٣ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٨٦ ، ٨٨ . (٢١)

سورة يوسف : ١٠ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٩٩ . (١١)

سورة الرعد : ٥ ، ٣٧ ، ٤٠ . (٣)

سورة ابراهيم : ٧ . ٨ ، ٩ ١ ، ٣٤ .(٥)

سورة الحجر : ٧ ، ٧١ . (٢)

سورة النحل : ١٨ ، ٤٣ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١٢٦ . (٧)

سورة الإسراء : ٧ ، ٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٨٦ ، ٨٨ . (١١)

سورة الكهف : ٦ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٦ . (٨)

سورة مريم : ٢٦ ، ٤٦ (٢)

سورة طـــه : ٧ ، ١٢٣ (٢)

سورة الأنبياء : ٧ ، ١٧ ، ٣٤، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٠٩ . (٩)

سورة الحج : ٥ ، ١١ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦٨ ، ٧٣ . (٧)

سورة المؤمنون : ٣٤ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٧ . (٥)

سورة النور : ٢ ، ٧ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ . (١٣)

سورة الشعراء : ٤ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١١٦ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ . (١٣)

سورة النمل : ٦٤ ، ٧١ . (٢)

سورة القصص : ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ . (٧)

سورة العنكبوت : ٨ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٦٣ . (٦)

سورة الروم : ٣٦ ، ٥١ ، ٥٨ . (٣)

سورة لقمان : ١٥ ، ١٦ ، ٢٥ . (٣)

سورة السجدة : ٢٨ . (١)

سورة الأحزاب : ٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٠ . (١٢)

سورة سبأ : ٩ ، ٢٩ ، ٥٠ . (٤)

سورة فاطر : ٤ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٤٢ . (٧)

سورة يس : ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٨ . (٥)

سورة الصافات : ١٠٢ ، ١٥٧ . (٢)

سورة الزمر : ٧ ، ١٣ ، ٣٨ ، ٦٥ . (٦)

سورة غافر : ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩ . (٤)

سورة فصلت : ١٣ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ . (١٠)

سورة الشورى : ٢٤ ، ٣٢ ، ٤٨ . (٤)

سورة الزخرف : ٩ ، ٤١ ، ٨١ ، ٨٧ . (٤)

سورة الدخان : ٧ ، ٢١ ، ٢٦ . (٣)

سورة الجاثية : ٢٥ . (١)

سورة الأحقاف : ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٢ . (٤)

سورة محمد : ٧ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ . (٥)

٢

سورة الفتح : ١١ ، ١٦ ، ٢٧ . (٤)

٣

سورة الحجرات : ٦ ، ٩ ، ١٤ ، ١٧ . (٦)

سورة الطور : ٣٤ ، ٤٤ . (٢)

سورة القمر : ٢ . (١)

سورة الرحمن : ٣٢ . (١)

سورة الواقعة : ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ . (٥)

سورة الحديد : ٨ . (١)

سورة المجادلة : ١٢ . (١)

٢ ٣

سورة الحشر : ١١ ، ١٢ . (٥)

سورة الممتحنة : ١ ، ٢ ، ١٠ ، ١١ . (٤)

سورة الصف : ١١ . (١)

٢

سرة الجمعة : ٦ ، ٩ . (٣)

سورة المنافقون : ٤ ، ٨ . (٢)

سورة التغاين : ١٢ ، ١٤ ، ١٧ . (٣)

٣

سورة الطلاق : ٤ ، ٦ . (٤)

سورة التحريم : ٤ ، ٥ . (٢)

سورة الملك : ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ . (٣)

سورة القلم : ٢٢ ، ٤١ . (٢)

سورة نوح : ٢٧ . (١)

سورة المزمل : ١٧ . (١)
سورة المرسلات : ٣٩ . (١)
سورة الأعلى : ٩ . (١)
سورة العلق : ١١ ، ١٣ . (٢)

مواضع (إن) الشرطية في القرآن الكريم – كما جاءت في هذا الإحصاء – ٥٥٤ .

(إذا) الشرطية
في القرآن الكريم

سورة البقرة : ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٢ . (٢٦)

سورة آل عمران : ٤٧ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٥٩ . (٦)

سورة النساء : ٦ ، ٨ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٦١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٤٠ ، ١٤٢ . (١٥) .

سورة المائدة : ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٢٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٤ . (٩) .

سورة الأنعام : ٢٥ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٥٢ . (١٠)

سورة الأعراف : ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ١٣١ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ . (١٠)

سورة الأنفال : ٢ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٥ . (٦)

سورة التوبة : ٥ ، ٣٨ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧ . (٨)

سورة يونس : ١٢ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٩٠ . (٨)

سورة هود : ٤٠ . (١)

سورة يوسف : ١١٠ . (١)

سورة الرعد : ٥ ، ١١ . (٢)

سورة الحجر : ٢٩ . (١)

سورة النحل : ٢٤ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٠١ . (٩)

سورة الإسراء : ٥ ، ٧ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ٨٣ (٢) ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٧ . (١٢)

سورة الكهف : ١٧ (٢) ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ (٢) ، ٩٨ . (١٠)

سورة مريم : ٣٥ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ . (٥)

سورة الأنبياء : ٣٦ ، ٩٦ . (٢)

سورة الحج : ٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٧٢ . (٥)

سورة المؤمنون : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠١ . (٨)

سورة النور : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ (٢) . (٧)

سورة الفرقان : ١٢ ، ١٣ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ . (٨)

سورة الشعراء : ٨٠ ، ١٣٠ . (٢)

سورة النمل : ١٨ ، ٣٤ ، ٨٢ ، ٨٤ . (٤)

سورة القصص : ٧ ، ٥٣ ، ٥٥ . (٣)

سورة العنكبوت : ١٠ ، ٦٥ . (٢)

سورة الروم : ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٦ (٢) ، ٤٨ . (٥)

سورة لقمان : ٧ ، ٢١ ، ٣٢ . (٣)

سورة السجدة : ١٠ ، ١٥ . (٢)

سورة الأحزاب : ١٩ (٢) ، ٤٩ ، ٥٣ (٣) . (٦)

سورة سبأ : ٢٣ ، ٤٣ . (٢)

سورة فاطر : ٤٥ . (١)

سورة يسن : ٤٥ ، ٤٧ . (٢)
سورة الصافات : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٣٥ ، ٥٣ ، ١٧٧ . (٦)
سورة ص : ٧٢ . (١)

سورة الزمر : ٨ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، (٧)
سورة غافر : ١٢ ، ٣٤ ، ٦٨ ، ٧٨ . (٤)

سورة فصلت ٢٠ ، ٣٩ ، ٥١ . (٤)
سورة الشورى : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٨ . (٣)
سورة الزخرف : ١٧ ، ٣٨ . (٢)
سورة الجاثية : ٩ ، ٢٥ ، ٣٢ . (٣)
سورة الأحقاف : ٦ ، ٧ ، ١٥ . (٣)

سورة محمد : ٤ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ . (٥)
سورة ق : ٣ . (١)
سورة الرحمن : ٣٧ . (١)
سورة الواقعة : ٤٧ . (١)

سورة المجادلة : ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ . (٥)

سورة الممتحنة : ١٠ ، ١٢ . (٣)
سورة الجمعة : ٩ ، ١٠ ، ١١ . (٣)
سورة المنافقون : ١ ، ٤ ، ٥ . (٣)
سورة الطلاق : ١ ، ٢ . (٢)
سورة الملك : ٧ . (١)
سورة القلم : ١٥ . (١)
سورة الحاقة : ١٣ . (١)

سورة المعارج : ٢٠ ، ٢١ . (٢)
سورة الجن : ٢٤ . (١)
سورة المدثر : ٨ . (١)
سورة القيامة : ٧ ، ١٨ . (٢)
سورة الإنسان : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨ . (٣)
سورة المرسلات : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٤٨ . (٥)
سورة النازعات : ١١ ، ٣٤ ، (٢)
سورة عبس : ٢٢ ، ٣٣ . (٢)
سورة التكوير : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .(١٢)
سورة الانفطار : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . (٤)
سورة المطففين : ٢ ، ٣ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ . (٦)
سورة الانشقاق : ١ ، ٣ ، ٢١ . (٣)
سورة الفجر : ١٥ ، ١٦ ، ٢١ . (٣)
سورة الانشراح : ٧ . (١)
سورة الزلزلة : ١ . (١)
سورة النصر : ١ . (١)

مواضع (إذا) الشرطية في القرآن الكريم – كما جاءت في هذا الإحصاء – ٣٠٩ .

إن أولى الحقائق التي هدى اليها هذا البحث تتعلق باستعمال (إذا) في القرآن الكريم ، فقد سبق أن ذكرت عبارتين وردتا في كتابي « شرح الكافية » للرضي « والأشباه والنظائر » للسيوطي فيهما ما يفهم منه أن أسلوب الشرط في القرآن استعملت فيه « إذا » أكثر من غيرها من أدوات الشرط ، وبخاصة عبارة « الأشباه والنظائر » التي تقول : (إن « إذا » تقع شرطاً في الأشياء المحققة الوقوع ، ولذا وردت شروط القرآن بها) .

لكننا في الاستقراء السابق نجد أن (إن) الشرطية وردت في ٥٥٤ أربعة وخمسين وخمسمائة موضع من القرآن على حين أن (إذا) الشرطية لم يزد استعمالها به على ٣٠٩ تسع وثلاثمائة مرة تقريباً .

والخلاف حول استعمال (إذا) شرطية أو ظرفية فقط في عدد من الآيات لا يؤثر قليلاً أو كثيراً في الحقيقة التي انتهى اليها هذا الاستقراء وهي أن استعمال إن الشرطية في القرآن الكريم أكثر بشكل ملحوظ من استعمال (إذا) الشرطية فيه . . .

والحقيقة الثانية : أن (إذا) تستعمل في معظم الحالات لمعنى غير المعنى الذي تستعمل له (إن) .إنها تستعمل في الأمور المتيقنة ، أو التي يكثر وقوعها على حين تستعمل (إن) فيما يحتمل الوقوع وعدمه ، أو في الذي يحدث قليلاً . وخير ما يؤيد ذلك هو الآيات التي اجتمعت فيها (إن) و (إذا) معاً — فقد اجتمعتا في آيات يدرك القارىء لها بحسه وضوح هذه الحقيقة في أكثرها . فمن ذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا (١) . » وقوله تعالى (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ (٢))

وقوله تعالى « وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣) »

---

(١) سورة المائدة : ٦ .
(٢) سورة الأعراف : ١٣١ .
(٣) سورة الروم : ٣٦ .

فالقيام للصلاة من شأنه أن يتكرر كل يوم ولذلك جيء معه بـ « إذا » في الآية الأولى أما حدوث الجنابة فإنه لا يتكرر تكرر الصلاة ولذلك جيء معه بـ (إن) .

وفي الآية الثانية « حصول الحسنة مقطوع به ، فاقتضت البلاغة التعبير بـ « إذا » وجيء بـ (إن) في جانب السيئة ، لأنها نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة كالمرض بالنسبة إلى الصحة ، والخوف بالنسبة إلى الأمن (١) . »

ومثل هذا أيضاً يقال في الآية الثالثة ، فالرحمة من الله كثيرة ، ووقوع السيئة قليل فجاءت (إذا) مع الرحمة و (إن) مع السيئة .

وإذا خولف هذا الأصل في الاستعمال فلنكتة بلاغية كما في قوله تعالى « . . وإذا مَسَّهُ الشَّرّ فَذُو دُعَاء عَرِيض (٢) » بعد قوله تعالى : «وَإذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنْسَانِ أعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِه » . والذي تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير للمعرض المتكبر لا لمطلق الانسان ، ويكون لفظ (إذا) للتنبيه على أن ابتلاء مثل هذا المعرض المتكبر بالشر مقطوع به . (٣) فهذه المزاوجة بين (إن) و (إذا) في أكثر من آية استدعتها دقة التعبير . إنه كما يأتي المعنى الذي يستدعي الربط والتعليق بـ « إن » يأتي المعنى الذي يستدعي الربط والتعليق بـ (إذا) ولكل مقام هو القانون الذي التزم به نظم القرآن ، وقام عليه إعجازه ، وتفرد به رَصفه وبناؤه .

لقد أنكر بعض النحاة المعاصرين هذه التفرقة في الاستعمال بين هاتين الأداتين فالدكتور مهدي المخزومي يقول في كتاب له : « . . . أما ما ذهب اليه الخطيب في إيضاحه . . . من أن الأصل في (إن) ألا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه ، وأن الأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه — فيما مر بنا من نقول عنه — ففيه من تحميل هذا الأسلوب ما لا يحتمل ، كل ما هنالك أن المتكلم باستعماله صيغة الماضي يوهم السامع برجحان أحد الطرفين على الآخر ، ومعنى هذا أن تصور الطرف الثاني ما يزال قائماً (٤) » .

وفي كتاب ثان له يقول : و (إن) و (إذا) تستعملان فيما يحتمل تحققه وعدم تحققه لا ترجيح لأحدهما على الآخر (٥) . »

---

(١) الزركشي : « البرهان في علوم القرآن » ٤ : ٢٠١ .
(٢) سورة فصلت : ٥١ .
(٣) انظر : « البرهان في علوم القرآن » ٤ : ٢٠٢ .
(٤) مهدي المخزومي « في النحو العربي نقد وتوجيه » : ٢٩٦ .
(٥) مهدي المخزومي « في النحو العربي قواعد وتطبيق » : ٤١ .

وهذا الكلام فيه تجاهل لما قاله علماء النحو والبلاغة في التفرقة بين استعمال هاتين الأداتين . وتجاهل لما يشهد به الذوق في استعمال القرآن لهما في المعاني المختلفة ، وآية ذلك ما استشهدنا به من الآيات على الفرق بين معنى (إن) و (إذا) .

إن الدراسات الأدبية واللغوية الحديثة أكدت أن أسلوب القرآن واستعماله لكلمة دون أخرى في مقام من المقامات أمر له دلالته البلاغية لا في محيط كمحيط حروف المعاني التي تظهر الفروق بينها ، بل في محيط الترادف اللغوي (١) .

والحقيقة الثالثة تتعلق بصيغة الفعل مع كل من (إن) و (إذا) ذكر بعض العلماء أن الفعل بعد (إن) يختار فيه أن يكون بصيغة المضارع ، لأن (إن) تفيد أن الفعل بعدها يحتمل أن يكون أو لا يكون والصيغة التي تناسب هذا المعنى هي صيغة المضارع ، أما (إذا) فلما كان استعمالها في المعاني المحققة الوقوع أو التي تقع كثيراً فقد ناسب أن تستعمل معها صيغة الماضي ، لكونه أدل باعتبار لفظه على الوقوع من المضارع . واستشهد لذلك بآيات منها قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ » . وقوله تعالى : « وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ » فإذا خولف هذا الأصل فلسر بلاغي (٢) .

ولكن إذا رجعنا إلى تتبع صيغ الأفعال الشرطية في استقرائي السابق نجد أن الحقيقة تخالف ما قرره من أشرنا إليه من العلماء .

لقد سبق أن ذكرت مواضع (إن) في القرآن التي بلغت ٥٥٤ موضعاً وعندما ننظر في صيغة الفعل الواقع بعد (إن) في هذه المواضع نجد أنه قد أتى بصيغة الماضي في نحو ٣٧٠ موضعاً . ومعنى ذلك أن الفعل بعد (إن) في القرآن الكريم جاء بصيغة الماضي أكثر بشكل ملحوظ مما جاء بصيغة المضارع وهذه ظاهرة لغوية تستحق الدراسة وربما لا تفهم حق الفهم ولا تكون دراستها دقيقة إلا إذا قامت على أساس من دراسة صيغة الفعل في اللغة العربية ودلالتها . إننا بذلك يمكن أن نعرف هل الأصل حقاً أن يكون

---

(١) للدكتورة بنت الشاطىء بحث موضعه : « مشكلة الترادف اللغوي في ضوء التفسير البياني » ، ألقته في مؤتمر المستشرقين المنعقد بنيودلهي في يناير ٦٤م – ذكرت فيه أن التتبع الدقيق لمعجم ألفاظ القرآن ، واستقراء دلالتها في سياقها يشهد بأن القرآن يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن معها أن يقوم لفظ مكان آخر في المعنى الواحد الذي تحشد له المعاجم اللغوية وكتب التفسير للقرآن الكريم عدداً قل أو كثر من الألفاظ المستدل بترادفها انظر (التفسير البياني للقرآن الكريم) : ٥ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٦٢ – ٣٦٣ .

الفعل مضارعاً بعد (إن) ؟ وأن نعرف أيضاً لماذا جاء بعدها ماضياً بهده الكثرة في القرآن ؟ وهل كان في جميع هذه الحالات لسر بلاغي ؟ أم هناك ما يغنينا عن تكلف سر بلاغي لكل حالة من هذه الحالات ؟ .

أما (إذا) فقد قال عنها السيوطي : « وتلزم (إذا) الإضافة إلى جملة صدرها فعل سواء كان مضارعاً نحو « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا » (١) وإذا لَمْ تَأتِهِمْ بِآيَةٍ (٢) » أو ماضياً نحو « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ (٣) ». وزعم الفرّاء أن (إذا) إذا كان فيها معنى الشرط لا يكون بعدها إلا الماضي . وقال ابن هشام : إيلاؤها الماضي أكثر . . . (٤) »

والاستقراء القرآني يؤيد ما ذهب اليه ابن هشام فقد وردت به (إذا) متلوة بالمضارع في أربعة عشر موضعاً هي :

١ — « وَإِذَا لَمْ تَأتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا . . . » (٥)
٢ — « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا » (٦)
٣ — « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا » (٧)
٤ — « إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً » (٨)
٥ — « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً » (٩)
٦ — « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا » (١٠)
٧ — « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ » (١١)

١، ٢ انظر مواضع تخريجات (إذا) المتلوة بالمضارع فيما بعد .
(٣) سورة المنافقون : ١ .
(٤) السيوطي : « همع الهوامع » ١ : ٢٠٦ .
(٥) سورة الأعراف : ٢٠٣
(٦) سورة الأنفال : ٣١ .
(٧) سورة يونس : ١٥ .
(٨) سورة الإسراء : ١٠٧
(٩) سورة مريم : ٥٨ .
(١٠) سورة مريم : ٧٣
(١١) سورة الحج : ٧٢

٨ – « وَإِذَا يُتْلَىَ عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ » (١)

٩ – « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلّىَ مُسْتَكبِراً » (٢)

١٠ – « وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِم آيَاتُنَا بَيّناتٍ قالُوا مَا هَذَا إلاّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَصُدّكُمْ » (٣)

١١ – « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ مَا كَانَ حُجّتَهم إلا أن قَالُوا ائْتُوا بآبَائِنَا » (٤)

١٢ – « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ قَالَ الّذينَ كَفَرُوا لِلْحَقّ لَمّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ » (٥)

١٣ – « إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أسَاطِيرُ الأوّلِينَ » (٦)

١٤ – « إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أسَاطِيرُ الأوّلِينَ » (٧)

وقد جاء فعل الشرط مضارعاً بعد (إذا) والجواب ماضياً في اثنتي عشرة آية من الآيات السابقة .

ويعتبر النحاة مجيء فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً قليلاً وخصه الجمهور بالشعر (٨) . وفاتهم أن يشيروا إلى مجيء هذه الصورة في القرآن ضمن الإطار الذي وردت به وذلك عند حديثهم عن صيغ فعلي الشرط والجواب .

الحقيقة الرابعة تتصل بزمن الفعل بعد (إن) ، و (إذا) . والصلة بين الفعل والزمن ملاحظة منذ نشأة النحو العربي . فهذا سيبويه يقول : « أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » .

« فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد . وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمراً : اذهب واقتل واضرب ، ومخبراً : يقتل ويذهب ويضرب ويُقْتَل ، ويُضْرَب –

---

(١) سورة القصص : ٥٣ .
(٢) سورة لقمان : ٧
(٣) سورة سبأ : ٤٣
(٤) سورة الجاثية : ٢٥
(٥) سورة الأحقاف : ٧
(٦) سورة القلم : ١٥
(٧) المطففين : ١٣
(٨) انظر « شرح التصريح » ٢ : ٢٤٩ .

وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت (١) . . . »

فسيبويه يشير في كلامه هذا إلى مضمون الفعل وأنه الحدث في زمن . أما الكسائي فيركز على دلالة الفعل على الزمن ، لأنه يقول : « الفعل ما دل على زمان » (٢) .

وقد قسم البصريون الفعل إلى ثلاثة أقسام : ماض ، ومضارع ، وأمر . وهذا تقسيم ملاحظ فيه الدلالة على الزمن كما يفهم من تحديد سيبويه السابق لمضمون الفعل .

والتقسيم الثلاثي لزمن الفعل لا يحيط إحاطة دقيقة بالأحداث التي تقع في أزمنة متعددة على هيآت مختلفة أحاط بها تقسيم الفعل في اللغة الانجليزية إلى درجة كبيرة وقد أعانه على هذه الإحاطة تعدد أنواعه التي تتجاوز عشرة .

فالفعل الماضي يكون بسيطاً ، وتاماً ، ومستمراً ، وتاماً مستمراً . والمضارع ينقسم إلى هذه الأقسام فهذه ثمانية ، يضاف اليها المستقبل البسيط والمستقبل التام والمستقبل المستمر الذي لا يستعمل إلا قليلاً ، وعدد من هذه الأنواع له استعمالات بعضها له صلة بالزمن ، فالمضارع البسيط يستعمل في الحدث المتكرر ، مثل انا أعمل كل يوم ثماني ساعات ، وهذا الحدث يكون في الماضي ، والحاضر ، والمستقبل . كما أنه يعبر به أيضاً عن العادات مثل : أنا أعمل باخلاص ، ويعبر به عن الحقائق الثابتة مثل : الأرض تدور حول الشمس . وهناك حالات أخرى غير هذه يستعمل فيها المضارع البسيط . فتنوع الفعل في الانجليزية والضوابط التي وضعت لكل نوع أعانته على الدقة في الدلالة .

والفعل المركب أي الذي يدل على الحدث وزمنه بمساعد معه موجود في اللغة العربية ولكن نحاتنا قديما لم يقوموا بإحصاء كامل لأشكاله ويضعوا لها ضوابط ، ثم يضيفوها إلى أقسام الفعل المعروفة . وقد جاءت إشارات في كتب النحو إلى بعض أشكال الفعل المركب أو المصاحب بأداة وبيان زمنه في هذه الهيئة المركبة .

من ذلك ما قاله الرضيّ وهو : « وقد يختص خبر كان ببعض من الأحكام نذكر بعضها هنا وبعضها في الأفعال الناقصة . فمما قيل إنه من خصائصه ، ما ذهب إليه ابن درستويه ، وهو أنه لا يجوز أن يقع الماضي خبر (كان) ، فلا يقال : كان زيد

(١) سيبويه « الكتاب » ١ : ٢ .
(٢) أحمد بن فارس : الصاحبي : ٥٢ .

قام ، ولعل ذلك لدلالة (كان) على المضي ، فيقع المضي في خبره لغوا ، فينبغي أن يقال : كان زيد قائماً ، أو يقوم . وكذا ينبغي أن يمنع نحو يكون زيد يقوم لمثل تلك العلة . . . وجمهورهم على أنه غير مستحسن ولا يحكمون بمطلق المنع ، **قالوا فإن وقع فلا بد من (قد) ظاهرة أو مقدرة لتفيد التقريب من الحال . . . (١)**

وشبيه بذلك ما هو معروف من أثر دخول السين وسوف على المضارع وجعله مستقبلاً محضاً ، وكذلك نون التوكيد . وهناك كلمات أخرى تتصل بالفعل فتؤثر في زمنه مثل (أن) المصدرية و (لا) النافية وغيرهما (٢) .

ومن أشكال الفعل الذي يتأثر زمنه لمصاحبته لكلمة أخرى ، الفعل الذي يقع بعد (إن) و (إذا) الشرطيتين . فمهما كانت صيغة الفعل بعدهما مضارعاً أو ماضياً فإن زمانه يكون مستقبلاً ، هذا هو الأصل الغالب ، لأن أدوات الشرط تجعل الأفعال بعدها للزمان المستقبل ، فإن كان الفعل بعدها ماضي اللفظ أصبح بها مستقبل المعنى وذلك كقول إنسان لآخر : إن مت على الإسلام دخلت الجنة .

فإذا وقع بعد أداة الشرط الفعل (كان) فالجمهور يرى تأويل التركيب بما يجعل هذا الفعل مستقبل المعنى ، أما المبرّد فيذهب إلى أن فعل الشرط في هذه الصورة يكون باقياً على أصله من الدلالة على الزمن الماضي ، لأن (كان) في رأيه مجردة للدلالة على المضيّ (٣) .

والرضي يؤيد المبرد في رأيه فإنه يقول : « وقد تستعمل (إن) الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه . . . واستعمالها في الماضي على خلاف وضعها ولا تستعمل فيه في الأغلب إلا وشرطها (كان) . . . (٤) »

وما قيل من أن (إن) تستعمل في الأصل للمستقبل ، وأنه قد تستعمل للماضي ، يقال مثله بالنسبة لأداة الشرط (إذا) ، فالأصل فيها أيضاً أن تكون للاستقبال ، ولكنها قد تأتي للماضي كما في قوله تعالى : « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا (٥) »

وقد تأتي (إذا) لغير الماضي والمستقبل ، فتفيد التكرار أو الاستمرار وذلك كثير

---

(١) الرضى : شرح الكافية ١ : ٢٣١ .
(٢) انظر المغني ١ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٢ : ٣٣٩ .
(٣) انظر « شرح الكافية » للرضى ٢ : ٢٦٥ .
(٤) الرضى : شرح الكافية ٢ : ١٠٩ .
(٥) سورة الجمعة : ١١ .

منه قوله تعالى : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا (١) . . . »

وذهب إلى إفادة (إذا) هذا المعنى بعض النحاة منهم الفراء الذي يقول : « وتقول : ما هلك امرؤ عرف قدره ، فلو أدخلت في هذا (إذا) كانت أجود من (إذ) ، لأنك لم تخبر بذلك عن واحد فيكون بـ (إذ) — وإنما جعلته كالدأب فجرى الماضي والمستقبل — ومن ذلك أن يقول الرجل للرجل : كنت صابراً إذا ضربتك ، لأن المعنى كنت كلما ضربت تصبر ، فإذا قلت : كنت صابراً إذ ضربت فإنما اخبرت عن صبره في ضرب واحد » (٢) .

وقد نسب السيوطي إلى ابن عصفور اختياره الرأي الذي يذهب إلى إفادة (إذا) التكرار (٣) .

وتعبير الفراء عما تفيده (إذا) بأنها تجعل ما بعدها كالدأب ربما كان أقرب إلى الدقة من معنى التكرار في بعض المواطن كما في قوله تعالى : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » لأن اتصافهم بهذا السلوك تعودا أبلغ في الدلالة على نفاقهم من اتصافهم به مكرراً ، فقد يتكرر الشيء ولا يصير عادة ، ولكن إذا أصبح عادة كان ألصق بالنفس وأدل على الطبع . والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة : ١٤ .
(٢) الفراء : معاني القرآن ١ : ٢٤٤ .
(٣) انظر « البرهان في علوم القرآن » ٤ : ٢٠٣ .

مراجع البحث

١ – احمد بن فارس : الصاحبي ، المكتبة السلفية بالقاهرة ١٣٢٨هـ ، ١٩١٠م

٢ – ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الرابعة ١٩٤١م .

٣ – خالد الأزهري : شرح التصريح على التوضيح – البابي الحلبي – القاهرة – بدون تاريخ .

٤ – الرضى : شرح الكافية . طبعة تركيا ١٣١٠هـ .

٥ – الزركشي : البرهان في علوم القرآن – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – البابي الحلبي ١٩٥٨م .

٦ – الزمخشري : الكشاف – البابي الحلبي – ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٦م .

٧ – سيبويه : الكتاب – طبعة بولاق ١٣١٦هـ .

٨ – السيوطي : الأشباه والنظائر – طبعة الهند الثانية ١٣٥٩هـ .

٩ – السيوطي : همع الهوامع – الخانجي ، ١٣٢٧هـ

١٠ – عائشة عبد الرحمن : التفسير البياني للقرآن الكريم – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

١١ – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز – دار المنار بمصر – الطبعة الرابعة ١٣٦٧

١٢ – الفراء : معاني القرآن – تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار – طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م .

١٣ – ابن هشام : مغنى اللبيب – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة المدني القاهرة – بدون تاريخ .

١٤ – مهدي المخزومي – في النحو العربي ، قواعد وتطبيق – البابي الحلبي ١٩٦٦م .

١٥ – مهدي المخزومي : في النحوالعربي ، نقد وتوجيه ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٤

١٦ – يحي بن حمزة بن ابراهيم العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، علوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢هـ .